جريمة الشرف عند سحر خليفة" الميراث" وخديجة مستور" أنغان" دراسة مقارنة

Honor killing in Sahar Khalifa's "Inheritance" and Khadija Mastour's "Courtyard", a comparative study

Sajida Rehman
PhD Scholar Department of Arabic Language & Literature
University of the Punjab Lahore
Email: sajidarehman1@yahoo.com
Professor Dr. Abdul Majid Nadeem
Department of Arabic Language & Literature
University of the Punjab Lahore
Email: pabdulmajid@gmail.com

ABSTRACT
This paper delves into the representation of honor killings in literature, specifically through Sahar Khalifa's "The Inheritance" (1997)and Khadija Mastour's "Angan"(1962). The focus is on how these works depict the male discourse of honor and its impact on female characters within the social customs of their respective cultures.It highlights the irony of honor as a gender-based mechanism that disproportionately values female morality while allowing for the violation of cultural morality by males. This is exemplified through characters like Zeinab, Nahla, Salma, Tahmina, and Kusem, who are subjected to the dictates of honor upheld by male relatives.Furthermore, this paper underline the moral and ethical irresponsibility of male characters such as Mazin, Said, and Salma's brothers, who neglect their familial duties while maintaining a sense of entitlement as guardians of honor. This underscores the patriarchal hypocrisy embedded within the discourse of honor.The empowerment of feminine voices in both novels is identified as a means to challenge and deconstruct patriarchal norms, advocating for gender equality where both men and women share ethical and social responsibilities. Khalifa's and Khadija's works thus serve as platforms to critique the cultural legitimization of honor crimes and advocate for social change.Moreover, that honor crimes are not limited to a particular culture or region but are rather a broader societal issue rooted in cultural definitions rather than religious ones. The female characters in both novels navigate their cultural landscapes to challenge gender inequalities and strive for social parity. Overall, this analysis provides a nuanced exploration of the representation of honor killings in literature, highlighting the role of gender dynamics, cultural contexts, and the importance of challenging patriarchal structures in achieving social equality.

مقدمة

ينتقد الميراث سحر خليفة وخديجة مستور أنغان المفهوم القائم على النوع الاجتماعي لجرائم الشرف. على الرغم من أن كل عمل يدور حول مجتمع مختلف – المجتمع العربي الفلسطيني في كتاب الخليفة الميراث والمجتمع الهندي قبل التقسيم في أنغان(الفناء) ومجتمع الباكستاني بعد التقسيم شبه القارة تخضع أدوار النساء لإشراف الرجل على سلوكهن الجنسي وفقًا للدين والتقاليد. في أعمال الكاتبتين، يلعب الرجال من كلا المجتمعين دور حماة الشرف ثم يستهدفون نسائهم في حالات الانتهاك أو الإخلال بالشرف. بسخرية، يرتبط مفهوم الشرف فقط بممارسات المرأة، في حين أن الذكور ليسوا مسؤولين عن احترام أخلاقهم وسلوكهم لأن فجور الرجل لا يؤثر على شرف الأسرة. يؤدي عدم التوازن بين الجنسين هذا إلى الإيذاء للمرأة، التي تتحول إلى رمز لشرف الأسرة ليحميه أقاربهن الذكور وينتقمون منه. على الرغم من أن بعض الشخصيات الذكورية تظهر الإهمال الاقتصادي والكسل والفجور الاجتماعي وعدم المسؤولية الاجتماعية، إلا أنهم ما زالوا يعتبرون أنفسهم حماة لشرف أسرهم ولن يتم اتهامهم بمعاقبة أو قتل أخواتهم أو بناتهم أو زوجاتهم.

مفهوم "جرائم الشرف"

في عام ٢٠١٢، نشرت منظمة الصحة العالمية تقريرًا يعرّف قتل الإناث من أجل فهم العنف ضد المرأة والتعامل معه بشكل أفضل، وهو أن جرائم الشرف هي "قتل فتاة أو امرأة على يد فرد أو أنثى من أفراد الأسرة لارتكاب اعتداء جنسي أو سلوكي فعلي أو مفترض، بما في ذلك الزنا أو الجماع أو الحمل خارج الزواج – أو حتى للاغتصاب "لا تُنسب جرائم الشرف إلى مجتمعات معينة، بل هي منتشرة في جميع أنحاء العالم. وفقًا لهذا التقرير، تعلن منظمة الصحة العالمية أن "هناك ما يقدر بنحو ٥٠٠٠ جريمة قتل باسم" الشرف "كل عام في جميع أنحاء العالم. تحدث عمليات القتل هذه بشكل رئيسي في أجزاء من الشرق الأوسط وجنوب آسيا، ولكن أيضًا بين بعض مجتمعات المهاجرين[1].

في يونيو ٢٠١٠، كانت نشر تقرير من قبل الحكومة الكندية بعنوان "الفحوصات الأولية لما يسمى ب ‘‘جرائم الشرف "في كندا، يوضح أن جرائم الشرف كانت تُمارس" منذ العصور الرومانية القديمة، عندما كان رب الأسرة، أو رجل كبير في الأسرة، احتفظت بالحق في قتل الابنة غير المتزوجة، ولكنها نشطة جنسيًا أو الزوجة الزانية. أثبتت العديد من الأحداث التاريخية مثل "حرب طروادة" وقطع رأس الملك هنري الثامن زوجته الخامسة "بدعوى الزنا" أن جرائم الشرف كانت تمارس في العديد من الثقافات حتى في مجتمعات أمريكا اللاتينية، سُجِّلت جرائم الشرف عندما سمحت القوانين المبكرة بهذا الفعل: "في الأزمنة الأولى لبيرو، سمحت قوانين الإنكا (INCA) للأزواج بتجويع زوجاتهم حتى الموت كعقوبة لارتكاب فعل

الزنا. أدت قوانين الأزتك (Aztec) إلى الموت رجما أو خنقا لأنثى زنا في هذا السياق، كما أفهم أن تصور جرائم الشرف هو خطاب ثقافي من صنع الإنسان، فإن جرائم الشرف متجذرة في التقاليد المجتمعية وليس الأديان. لا يوجد دين يبرر قتل النساء باسم الشرف. تستمد شرعيتها من التقاليد بدلاً من الدين. باختصار "إن مفاهيم الشرف والعار واستخدامهما كمبرر للعنف والقتل لا تنفرد بهما ثقافة واحدة، والأديان لا تحرض على القتل باسم الشرف[2] .

هنا اتفقت مع كورتيويج (Korteweg) يلعب الدين دورًا محددًا كمصدر للمعنى في المناقشات حول العنف المرتبط بالشرف.

"يلعب الدين دورًا محددًا كمصدر للمعنى في المناقشات حول العنف المرتبط بالشرف. لا توجد صلة مباشرة بين الدين والعنف المرتبط بالشرف، ويطبقه الأشخاص من مختلف الأديان. في الوقت نفسه، يستشهد الأفراد أو العائلات المتورطة في ارتكاب الجرائم أحيانًا بتفسيراتهم للدين على أنها تعزز فهمهم للشرف، بغض النظر عن عقيدتهم".[3]

بعبارة أخرى، يعتمد قتلة الشرف على تفسيرات وليس على أدلة نصية واضحة تبرر قتلهم. تشير التقارير إلى أن العديد من جرائم الشرف تمارس في العالم الإسلامي، ولهذا يتم توجيه العديد من الاتهامات إلى الإسلام كدين، مما يشجع زوراً على جرائم الشرف. أنا أؤمن بشدة بأن الإسلام كدين لا يحرض على ارتكاب جرائم الشرف، معتقدين أن مثل هذه الجرائم مدفوعة بقواعد الأخلاق الثقافية. يشير كورتيويج إلى أن "جرائم الشرف غالبًا ما ترتبط بالإسلام، ولكن لا توجد إشارات في القرآن تبرر هذه الأنواع من جرائم القتل أو غيرها من أشكال العنف في هذه الأنواع من الظروف"[4]

في عام ٢٠٠٩، أوضحت شريفة زهور[5] أن الإسلام ليس مسؤولاً عن جرائم الشرف المرتكبة باسم الإسلام، وقد ذكرت العديد من السلطات الإسلامية أن جرائم الشرف "ليست إسلامية" ولا يمكن لوم الإسلام يشير زهور إلى حقيقة أن الإسلام لا يسمح للمسلمين بأداء عقوبة الزنا بشكل فردي بدلاً من أن يتم تنفيذها من قبل سلطة إسلامية: "الشريعة نفسها لا تسمح للأفراد بممارسة أنشطة أهلية ، يجب أن يكون الأمر متروكًا لسلطة إسلامية مؤهلة لتحديد ما إذا كان الزنا قد ارتكب.في هذا السياق، يستغل قتلة الشرف الإسلام كغطاء لتبرير جرائم العنف بين الجنسين.

"لا يوجد ذكر لجرائم الشرف في القرآن أو الأحاديث. تشير جرائم الشرف، في التعريفات الإسلامية، على وجه التحديد إلى عقوبة خارج نطاق القانون من قبل الأسرة ضد المرأة، وتحرمها الشريعة. لا توافق السلطات الدينية على عقوبات إضافية مثل جرائم الشرف وتحظرها، لذا فإن ممارستها هي مسألة ثقافية وليست دينية. ومع ذلك، نظرًا لأن الإسلام له تأثير على أعداد كبيرة من المسلمين في العديد من البلدان ومن

ثقافات عديدة، فإن البعض يستخدم الإسلام لتبرير جرائم الشرف على الرغم من عدم وجود دعم لجرائم الشرف في الإسلام".[6]

أعتقد أن النظام الأبوي هو أيضًا سبب رئيسي لجرائم الشرف لأن المجتمعات الأبوية والتقليدية تعفي الرجال من أي مسؤولية أخلاقية وتؤكد للسخرية على دور الرجال كحماة لشرف العائلة. وفقًا لأراجي،[7] "فإن عدم المساواة في التصور الأبوي للأفعال والسلوك غير الأخلاقي للذكور والإناث بالرجوع إلى كيفية إهانة الذكور لعائلاتهم، نجد أن هناك معيارًا مزدوجًا عادة فيما يتعلق بسلوكيات الذكور والإناث. ينظر إليها وما هي العواقب. يعطي لأراجي مثالاً في "الهند" حيث إن "الابن" من خلال اكتسابه سمعة السرقة أو القمار قد يجلب العار، لكن فعل الزنا الذي يرتكبه الذكور لا يجلب العار أو العار للأسرة. توضح أبو عودة أن السلوك الأخلاقي للمرأة العربية يسيطر عليه ويشرف عليه الذكور أن تكون رجلاً هو الانخراط في الممارسات اليومية، وكجزء مهم منها هو ضمان عذرية المرأة في عائلتك. في الثقافة العربية، الرجل هو ذلك الشخص الذي تعتبر عذرية أخته مسألة اجتماعية بالنسبة له. يكتب أبو عودة أنه من المعيب في الثقافة العربية ألا ينتقم الرجل من فقدان شرفه: "إذا لم يتدخل الرجل بقتل أخته أو زوجته بعد أن عار عليه، فإنه يعاني من فقدان جنسه: لم يعد رجلا[8].

جريمة الشرف عند سحر خليفة " الميراث"

في رواية "الميراث"، ولدت لأم أمريكية وأب فلسطيني، حملت زينب، التي سميت فيما بعد باسم زينة، في سن الخامسة عشرة وتهددها والدها بالقتل. طفلة فلسطينية أخرى، هدى، تحمل في سن الخامسة عشرة وتهرب هربًا من محاولات والدها طعنها. نهلة، امرأة فلسطينية تبلغ من العمر 50 عامًا، يلاحقها أشقاؤها لإقامتها علاقة مع سمسار عقارات. في رواية أنغان سلمى وتهمينه وكسم هن الشخصيات التي طردها الأب والأم والأعضاء الذكور الآخرون من المجتمع.

أن رواية سحر خليفة الميراث كما تصور الرواية حقبة ما بعد اتفاق أوسلو، فهي أفضل تصوير للحياة المنزلية الفلسطينية. ومع ذلك، أشار بعض العلماء الجدد إلى أن روايات خليفة تحتوي على نسوية إيكولوجية. يعزز النسويون الإيكولوجيون الحجة القائلة بأن إخضاع فلسطين وإخضاع المرأة في ظل النظام الأبوي أمران متشابكان. بالرغم من النسوية الإيكولوجية، تشير سحر خليفة إلى مفهوم "الشرف" في رواياتها، بحسب خليفة، فإن استغلال المرأة باسم الشرف يلفت الانتباه إلى الثقافة الأبوية. وجدت أن أجساد النساء الفلسطينيات محبطة جنسياً واستغلالها في روايات سحر. ومع ذلك، فهو خطاب فلسطيني محدود يستمر في إعادة تدوير النظرة الأبوية القومية لجسد المرأة ونشاطها الجنسي. أن الخطاب النسوي الجديد هو الحاجة إلى ساعة "تتجاوز العنف والاستعارات والأيديولوجيات التي تستمر في تقييد حياة

النساء ومنعهن من أن يصبحن مواطنات كاملات الأمة مسلسل الجرائم باسم الشرف، الذي لم يلاحظه أحد، سحر خليفة ذكرته في روايتها "الميراث" لوقف مثل هذه التقاليد الذكورية التي تستهدف المرأة الفلسطينية. إنه وجه جديد للواقعية الأدبية[9].

في الميراث لسحر خليفة، هناك ثلاث شخصيات نسائية هي هدى وزينب ونهلة الذين يعانون من العنف الجنسي لجرائم الشرف. هدى، التي تحمل في سن الخامسة عشرة، هي فتاة أمريكية فلسطينية تعيش في أمريكا ومهددة بالقتل على يد والدها بسبب خزيها من الزنا. تستذكر بطلة الرواية زينب قصة هدى."كانت هدى ابنة جيراننا الذين يعيشون في نفس المجمع. مثلي، كانت نصف أمريكية. أصبحت حاملاً في الخامسة عشرة من عمرها، ورأينا جميعًا والدها يركض وراءها في الشارع مثل ثور هائج، يحمل أطول سكين له. حاول والدي منعه، لكنه لم يستطع. أخيرًا، بمساعدة اثنين من الجيران، تمكنوا من منعه من قتلها"[10] لكن والد زينب، محمد حمدان، يلوم نفسه لاحقاً على إنقاذ الفتاة من انتقام والدها لأن والد هدى فقد رجولته وشرفه كان يجب أن يقتلها، لقد لطخت اسمه، ولطخت عرضه، وأذلته بين أهله وقومه، ولو كنت مكانه لذهبت وراءها إلى الجحيم.

وعلى الرغم من أن هدى محظوظة بالنجاة من الموت، إلا أنها تهرب من والدها وحيها لتعيش منبوذة في بيت جدتها الأمريكية مصير هدى غامض ومجهول إذ لم يعد أحد يتصل بها: "لم نرها في بروكلين مرة أخرى، لكننا سمعنا شائعات. وقال البعض إنها احتفظت بالطفل، وقال آخرون إنها سلمته للتبني. ومع ذلك، قال آخرون إنها أجرت عملية إجهاض. هدى تعيش في فراغ وتصبح مصدر عار لوالدها الذي لا يستطيع قتلها لاستعادة شرفه: "الجميع أجمع على أن والد هدى لم يعد رجلاً لأنه لم يغسل شرفه بدمائها" قصة هدى تخيف كل أب عربي أمريكي من أن قصتها قد تتكرر مع أي فتاة عربية أمريكية أخرى. والد زينب وهو الأكثر تأثراً وقلقاً من فضيحة هدى، ينذر الجالية العربية في أمريكا بالعودة إلى ديارهم حفاظاً على شرف بناتهم ومنعاً لتكرار عارضة هدى- "ماذا ننتظر يا أصدقاء؟ ألم نكتفي من أمريكا ونفاياتها؟ لدينا جميعا الأولاد والبنات. هل تريد أن تكون بناتك طليقات مثل الفتيات الأمريكيات؟ هل تريد أن تحمي بناتك وتحافظ على طهرهن وتربيتهن تربية صارمة وتتزوجهن بشكل جيد؟"[11]يذكر والد زينب هدى دائمًا بالعار الذي تجلبه لوالدها. وطبعاً في حالة فقدان محمد حمدان للوعي، يخشى أن تهينه ابنته بتكرار نفس مثال هدى. وهو الآن مهووس بشبح هدى واحتمال فقدان شرف ابنته. ويخشى محمد حمدان أن يصبح مثل والد هدى، الذي "لم يعد رجلاً " في نظر مجتمعه ولذلك فإن فكرة "العودة إلى الوطن" (العودة إلى فلسطين) تجلب له الراحة وسلامة الشرف، وأنهى والدي الحديث قائلاً "أريد لبناتي أن يتربن عربيات واضحات وشفافات كالشمعة. أريدهم أن يتزوجوا من العرب والمسلمين، فلتذهب أمريكا إلى الجحيم

سأعود إلى وطني"[12]محمد حمدان، حامي شرف ابنته، قلق على مستقبل سلوك ابنته الأخلاقي على أرض غير عربية أمريكا. زينب، مثل هدى، تحمل في سن الخامسة عشرة وتصبح عرضة لازدراء والدها وانتقامه. كما هو الحال مع هدى، تجد زينب نفسها مهددة بـ ‘‘أطول سكين" لوالدها. تصبح زينب هدفًا لمحاولات قتل والدها. قررت الهروب إلى جدتها الأمريكية ديبورا "كنت أخشى أن يعلم والدي بحملي ويقتلني كما هددني ذات مرة. لقد حاول قتلي عندما سمع بحملي".[13] يقرر محمد حمدان تطهير اسمه بقتل ابنته لأنه لا يريد أن يصبح مثل والد هدى. مثل "كلب صيد" نفسه، يطاردها في منزل جدتها. بالنسبة لزينب، أصبح والدها غير مألوف بالنسبة لها: "لم يكن الأب الذي أعرفه، بل كان غريبًا تمامًا" يضربها بشدة رغم جهود جدتها لإنقاذها. يصرخ على ديبورا ألا تتدخل لأنه يعتقد أنه حامي شرف ابنته. "انتهى؛ اعتبرها ميتة. وعليها أن تدفع ثمن خطأها. يجب أن أغسل عاري وعارها". يتحول والد زينب إلى وحش عنيف، ينظر إلى ابنته على أنها تمثيل مجازي للفجور والعار: "جرني إلى المطبخ، وكان جسدي مغطى بقطع الزجاج والمرىى والدم. فشد من شعري وصاح بأعلى صوته يا ابنة الكلب، والله لأمتصن دمك". جدة زينب، ديبورا، تنقذ زينب من الموت المحتوم. زينب، التي تخاف من المشهد العنيف لوالدها وهو يحمل سكينًا ليقتلها في منزل جدتها، تشعر بالعجز تجاه غضب والدها: "أغمضت عيني بقوة وشعرت بركلاته على صدري، بينما كنت أنتظر سقوط سكينه". نجحت ديبورا في منع الأب من طعن زينب من خلال التهديد بإطلاق النار عليه بواسطة "بندقية الصيد". ديبورا، جدة زينب الأمريكية، تدرك تمامًا الخلفية الثقافية للأب من حيث الشرف والعار:"يمكنك أن تذهب إلى شعبك وتخبرهم أنك تصرفت كرجل وقتلتها" تدرك ديبورا أن الأب يريد إثبات رجولته وشجاعته بقتل ابنته. ولذلك تعرض عليه صفقة ليترك الفتاة في حضانة جدتها ويتظاهر بأنه قد طهر شرفه بقتل ابنته "إنسي زينب كما نسيت أمها". محمد حمدان غير قادر على مواجهة تحذيرات ديبورا، فيقرر الابتعاد عن ابنته "لقد ذكر بيده مرة أخرى واختفى في الطريق إلى الأبد". في الرواية، محمد حمدان هو ضحية التقليد. تحتفل زينب دائمًا بشخصية، والدها الطيبة، والبسيطة، والعاطفية. وحتى عندما حاول والدها قتلها، فإنها تتعاطف معه "سامحني يا أبي! رجائاً أعطني!". تعرف زينب أن وعي والدها يتحكم فيه تقليد الثأر من أجل الشرف.[14] زينب قبل حملها تصف العلاقة الطبيعية بينها وبين والدها: "لقد استمتعت بالعيش مع والدي الذي كان عزيزاً عليّ مثل روحي ونور عيني. وكان رجلاً طيب القلب، مليئاً بالذكريات والحكايات والقصص المضحكة"[15]. تحاول زينب إيجاد مبررات لتحول والدها إلى وحش. إنها تعتقد أن والدها يتصرف وفقًا لقواعد الأخلاق الثقافية ويتصرف بعنف كحامي لشرف الأسرة. لذلك فهي لا تحتقر أباها. بل تذهب إلى بروكلين لتبحث عنه عندما يقول لها أحد الجيران: "البعض يقول إنه ذهب إلى البلد القديم، والبعض الآخر يقول إنه ذهب إلى كندا، والبعض يقول إنه فقد عقله ومات"[16].

لكن محمد حمدان، تاركاً ابنته والعار في أميركا، يعود إلى وادي الريحان في الضفة الغربية."كلما تذكرت السكين وتلك النظرة الأخيرة تذكرت دموع الشوق وحلم العودة إلى الوطن"[17].

وبعد فترة طويلة تتلقى زينب رسالة من عمها يذكر فيها مرض والدها .تركت زينب كل شيء وأتت إلى وادي الريحان، ومكثت هنا نحو عام لكن في هذه الأثناء، عندما ترى معاملة إخوتها لنهلة، تقرر العودة إلى أمريكا.

نهلة، ابنة عم زينب، هي ضحية أخرى لجرائم الشرف في وادي الريحان بالضفة الغربية. هي امرأة فلسطينية في الخمسين من عمرها، تعيش "عزباء وعاطلة عن العمل" في وادي الريحان. نهلة التي كرست حياتها ومالها لتربية إخوتها، من المفارقة أنها مهجورة ومهملة من قبلهم ''كنت أعمل في الكويت، أحلب كالبقرة، أعلمهم وأربيهم، لكنهم لم يعيروني أي اهتمام، وكانوا يفعلون ما يريدون"[18]..."الآن أجد نفسي لا أقوم بأي شيء سوى الأعمال المنزلية، الكنس والتنظيف، والغسيل وصنع المخللات! أنا على وشك الانفجار، هذا النوع من الحياة يقتلني. هل سأبقى في المنزل بعد أن أمضيت عمري في العمل؟"[19].

تشعر نهلة بأن إخوتها يستغلونها كمصدر للمساعدة المالية، ولا أحد يساعدها في تحقيق الاستقرار الاجتماعي من خلال تكوين أسرة خاصة بها. تعتقد أنها تضحي بحياتها من أجل الآخرين. توصلت إلى نتيجة مفادها أنها ستركز على حياتها ولن تسمح أبدًا للآخرين بالتلاعب بها "لا أحد يقول إنني أضعت شبابي وعمري في حرارة الكويت، وأعيش وحدي في أرض أجنبية. الآن لا أهتم، حتى لو اختفت عائلة حمدان بأكملها، فلن أهتم كثيرًا!"[20]. يتفاجأ شقيقها سعيد بتحول أخته عندما ترفض مناشداته للحصول على المال. نهلة تخبر سعيد أن جميع إخوتها أثبتوا أنفسهم من خلال وجود زوجات وأطفال وتعليم، لذا فهي تريد تأمين حياتها الاجتماعية من خلال عائلة ومال" أنا لم أعد فتاة غبية بعد الآن، دعني وشأني، لقد أفلستني. ابتعد عن ضهري. لقد حلبتني مثل البقرة. أنا لست نهلة الكويت، مثلكم جميعاً أعيش الآن في الضفة الغربية. أنا لست مثلك، لديك عائلات وزوجات وأطفال، ولست بحاجة إلى أي شيء. أنا من له احتياجات"[21]. نهلة، رغم كل الجهود التي بذلتها لترسيخ استقلاليتها، لا تزال خاضعة للقواعد الأبوية لمراقبة سلوكها الجنسي. أبو سالم، سمسار عقارات، رجل في السبعين من عمره، هو الرجل الوحيد الذي يبدو أنه يهتم بنهلة كزوجة متوقعة. ورغم أن نهلة تعلم أن أبو سالم رجل متزوج وله "عشرة أطفال"، إلا أنها قبلت عرضه كـ "زوجة ثانية" لتأسيس أسرتها الخاصة. نهلة، التي لم يكن لها أولاد ولا زوج ولا بيت خاص بها، تقرر تعويض السنوات التي أضاعتها في جلب إخوتها لبدء حياة جديدة حتى كزوجة ثانية عندما تقع نهلة في حب تاجر عقارات، يحدث تغيير في روتينها اليومي يلاحظه الجميع. وقد تقدم في ص ٧٨ مثل هذا

"بدأت في استخدام الماكياج، واتخاذ خطوات صغيرة وخجولة، ووضع كميات صغيرة من محدد العيون سرا. كانت تستخدم أحمر الخدود وتضع بكرات في شعرها كل ليلة. بدأت في الذهاب إلى نابلس كل يوم خميس والعودة بأكوام من الملابس والحلي. كانت تقضي ساعات في غرفتها، تحاول ارتداء الفساتين، والماسكارا، وظلال العيون، وأحمر الشفاه، والكريمات المختلفة لبشرتها، والمرطب، والتطهير، ومكافحة التجاعيد، وكريمات الرقبة، والعينين"...لاحظ والدها أن نهلة قد تغيرت من نواح كثيرة. هذا التغيير هو الحب الذي كانت تحبها مع رجل عجوز متزوج "نهلة تغيرت وتغيرت كثيرا. أصبحت قاسية وعنيدة وتقول أشياء غريبة. حتى أنها ترتدي ملابس غريبة وتضحك بصوت عالٍ وتمضغ العلكة! ماذا حدث لنهلة؟ هذا ليس مثلها "[22]. وقالت نهلة أيضاً أن تعدد الزوجات أفضل من أن تكون أرملة أو جارية عجوز. تبدو نهلة امرأة قوية، ولا تزال خاضعة لسيطرة القواعد الأبوية التي تمنح الذكور حق اختيار أو رفض طلب الزواج لبناتهم. في مجتمع حيث الشرف شيء مقدس يجب أن يحميه الذكور، وتعلق زينب راوية الرواية على أهمية الشرف في مجتمع نهلة: "إن حماية المرأة وزواجها وسمعتها كانت أهم الأشياء بالنسبة للعائلة، ووسيلة للحفاظ على شرفها"[23]. أمسك شقيق نهلة، مازن، بأبو سالم وضربه ثم رماه كالكرة في وسط الشرفة". انتشرت شائعات فضيحة نهلة مع أبو سالم في كل مكان. وقد يتم نقلها من خلال ضيوف آخرين يشاركون القصة مع أقاربهم. كان أقاربهم يحيكون لأقارب آخرين، وتصل القصة إلى الجيران، وسائقي سيارات الأجرة الجماعية وسائقي الحافلات المتنقلين بين القدس ورام الله، والذين يسافرون بين رام الله ونابلس ووادي الريحان. ومن ثم ستتم الرحلة عبر الجسر إلى عمان، لبنان، وصولاً إلى فرانكفورت[24]. نهلة، التي تشعر بالقلق من أجواء عدم الثقة والانتقام والازدراء المجتمعية، تقرر الهروب مع حبيبها أبو سالم للحصول على زواج شرعي والهروب من انتقام أشقائها. ورغم أن شقيقها مازن يخدع العديد من النساء من خلال التظاهر بحبه لهن وإقامة علاقات جنسية معهن، إلا أنه لا يوبخه المجتمع الأبوي لأنه ذكر. فيوليت التي وقعت ضحية حب مازن الكاذب، تفاجأ برد فعل عنيف من مازن على قتل شقيقته بسبب علاقتها بأبو سالم، "لماذا تقبل مني عملاً تكرهه من أختك؟"[25] وفيوليت تظهر نفاق المجتمعات الأبوية التي يرتبط فيها مفهوم العار بسلوك المرأة فقط بينما يتحرر الرجل من أي لوم أو عقاب. والد نهلة ليس قلقا على سلامة ابنته بقدر قلقه على شرف عائلته. ومن المفارقات أن شقيقها سعيد، الذي يتلقى مساعدات مالية كثيرة من أخته، يهددها بالقتل: "كان رد فعل سعيد مبالغًا فيه، إذ أقسم ثلاث مرات أن يقتل نهلة ويطلق زوجته إذا فشل"[26]. سعيد، في حالة من الغضب والكراهية العمياء، يحمل "السكين الأكبر" ليطعن أخته لأنه يلعب دور حامي شرف العائلة. لكن نهلة تمنع الهجوم الوحشي على سعيد بإطلاق النار عليه "ببندقية ضخمة ."بالنسبة لسعيد، تخالف نهلة التقاليد الذكورية عندما تقرر الحب والزواج دون استشارة والدها وإخوتها. "وقعت في حبه وهربت

معه وتزوجته دون استشارة أحد. ألسنا رجال؟ نهلة أخطأت وأنا لم أخطئ"[27]. سعيد، الذي يحاول قتل أخته، يعتقد أنه لا يرتكب أي "خطأ" لأنه يقوم بواجبه كحارس لشرف عائلته. وتحمل زينب، بالنسبة لسعيد، مسؤولية سلوك نهلة غير الأخلاقي، "لأن الأخيرة تريد تقليدها كامرأة غربية الأمر كله خطأك. لقد أرادت أن تتصرف مثل الغربيين، مثل فيوليت وهيلغا والأشخاص الذين يظهرون على شاشات التلفزيون"[28].زينب تظهر عبء هروب نهلة على والدها وإخوتها كانت عائلة حمدان في وضع رهيب حقًّا. كانوا قلقين على نهلة وسمعتها في المجتمع. لقد أصبحوا مركز الاهتمام وتم سرد قصتهم في كل مكان. لو تركوا نهلة فسيسببون فضيحة وسيعتبرون ضعفاء كالنساء. وفي هذا السياق، يحتاج إخوة نهلة إلى إثبات أنهم قادرون على القيام بواجبهم كحماة لشرف عائلتهم، وأنهم مستعدون لتطهير عارهم من خلال ملاحقة أختهم وقتلها. ولا يرغبن في الظهور بمظهر "الضعيفات مثل النساء" في عيون مجتمعهن الذكوري الذي يؤكد على دور الذكور كمدافعين عن شرف العائلة. وكان رد فعل إخوة نهلة مختلفًا، إذ قالوا إنهم حاولوا قتلها، وكمال أجبرها على الطلاق، واعتبر مازن أن المشكلة أنهم اعتادوا على رؤيتها كملاك. هناك العديد من القواسم المشتركة في قضية نهلة وزينب، فالسكين والبندقية أداتان للموت والبقاء ذهب بعد ذلك إلى الباب وبدأ يطرق عليه ويصرخ: "افتحي، أيتها العاهرة، أيتها العاهرة... نهلة طلبت منه الرحيل وهددته بالاتصال بالشرطة ...فتح أحد الأدراج، وفتش محتوياته، وألقى بكل شيء على الأرض، حتى وجد أكبر سكين...هل تعتقد أنه لا يوجد رجال في الأسرة؟[29]

ورغم أن خليفة تمكن شخصياتها النسائية من النجاة من الموت، إلا أنها تظهر معاناة المرأة كموضع اتهام وانتقام وموت وعار في المجتمعات الأبوية.في الرواية، لا تُدخل خليفة الإسلام، كدين، في مناقشة جرائم الشرف في مجتمعها العربي الفلسطيني.تُظهر خليفة النفاق بين الجنسين في جرائم الشرف عندما لا يجلب سلوك الذكور العار للأسرة حتى لو كان غير أخلاقي، بينما تصرفات الإناث هي المسؤولة عن الحكم على شرف الأسرة.في الرواية، يمارس مازن وسعيد، العاطلين عن العمل والمهملين وغير الأخلاقيين، مراقبة سلوك أختهما نهلة ، ويعاقبونها باسم الحفاظ على شرفهما.

جريمة الشرف في رواية خديجة مستور أنغان

في رواية خديجة مستور أنغان، هناك ثلاث شخصيات "سلمى" و"كسم" وتهمينه " هن ضحايا هذا النظام الأبوي. تنتمي عالية راوية القصة إلى هذه الشخصيات الثلاث، سلمى هي عمة عالية، وهي الابنة الكبرى لصاحب أرض وهو جد عالية. في الرواية يتم تقديم سلمى من قبل ابنها "صفدر". والدة عالية تكره صفدر كثيراً لدرجة أنها تروي مراراً وتكراراً قصة هروبها من منزل والدها. والد صفدر هو ابن مزارع فقير، يعمل

في الحقول كعامل عادي، ومن الطبيعي أن يأتي ويذهب إلى المنزل للعمل، وهنا يلتقي بسلمى ويقع كلاهما في حب بعضهما البعض.

في أحد الأيام، رأت جدة عاليا الاثنين ممسكين بأيدي بعضهما البعض. في ذلك الوقت كان سلمي يبلغ من العمر أربعة عشر عامًا فقط. قامت الجدة بتقييد سلمى وضربها كثيرًا حتى تحول جسدها إلى اللون الأزرق. "لكن العقوبة كانت قصيرة جدًا بالنسبة لعمتك لدرجة أنه كان يجب أن تدفن حية"[30]. مستور خديجه ص

ومن ناحية أخرى، كان مصير والد صفدر وجده أكثر خزيًا. ركلهما أمام القرية وطردهما من القرية. صدمة فراق الحبيب محسوسة على كلا الجانبين. السلوك المهين والعنف الجسدي ليس علاجًا للحب بأي شكل من الأشكال يمكن كبحه مؤقتًا عن طريق الضغوط الاجتماعية والمواقف الاجتماعية، ولكن من المستحيل القضاء على هذه الحوافز الطبيعية. وفي هذه المناسبة كانت حالة سلمى هكذا. "ماتت عمتك حيا لم تكن ترتدي ملابس فاخرة، ولم تمشط شعرها، وكانت جدتك تراقبها طوال الوقت"[31].

ذات يوم خرج مالك الكبير. قبل الذهاب إلى السرير، أغلقت الجدة المنزل بأكمله واحتفظت بالمفاتيح معها، ولكن عندما استيقظت في الصباح، كانت المفاتيح وسلمى مفقودة. كانت إبلاغ جميع الأبناء بذلك "أختك هربت من المنزل"[32].

كان رد فعل الجميع عدوانيًا. وبهذه المناسبة تقول والدة عالية وكلامها يعني الكثير. "لو كانت سلمى ابنتي لسمّمتها بيدي في اليوم الأول"[33].

وكأن هناك حلاً واحداً لهذه المشكلة، وهو القتل أو الموت، فإما أن تُقتل هذه الفتاة أو تنتحر. لكن والد عالية صاحب العقل التقدمي حاول إقناع الجميع بأن سلمى على حق إذا تزوجت بمحض إرادتها. ومن الآن فصاعدا، يظهر رد الفعل على هذا الحادث مدى إثارة أن النساء فقط يستحقن العقاب. وبصرف النظر عن زوجة المالك الكبير، كانت هناك أيضًا محظيتان للمالك الكبير. وهاتين المحظيتين كان لهما أيضًا ثلاثة أولاد. كانت هناك منازل منفصلة لهذه المحظيتين. ولم يسمح لأطفالهم بدخول القصر إذا جاءوا، فسوف يطلق عليهم " اولاد الزنا ". وهذا يدل على ازدواجية معايير هذا المجتمع، حيث يمكن للرجل أن يرتبط بالنساء دون زواج ويمكن أن يكون لديهن أطفال أيضًا، لكن المرأة عاجزة عن الزواج من اختيارها، ولكن هؤلاء النساء المرتبطات بهذا الرجل لسن فاضلات، نهايتهم الذل والعار وأخيراً الموت. وبعد حادثة سلمى تأخذ القصة منعطفا مثيرا يُطلب من جميع المحظيات مغادرة القرية، لكن هؤلاء النساء لا يستطعن أخذ أطفالهن معهن لأنه في هذا النظام الأبوي، يعتبر الأطفال ملكًا للرجال. حتى لو فعلت المرأة ما تريد، فهي ضحية للظلم، وحتى لو استخدمها أحد، فسيكون الانتهاك معها. هذه الجريمة لا تنتهي عند حادثة

سلمى، فقد أصبحت حياة سلمى وزوجها صعبة للغاية، فقد كان يفقد وظيفته أينما كان يعمل وبالتالي يعاني من الجوع، وبعد ولادة صفدر تموت سلمى ويتم إحضار صفدر من قبل والد عالية لكن والدة عالية لا تقبله وتصفه بـ "العيب". "عندما علمت جدتها بوفاة سلمى، لا أعرف أين مات عارها. ذهب والدك وعمك إلى القرية التي تعيش فيها سلمى وعندما عاد والدك كان صفدر معه"[34].

تم العثور على مثال أخرى لحوادث مماثلة في رواية. قصة الفتى الهندوسي كسم، أن زوج كسم ديدي (أخت) قُتل في حادثة جليانوالا، فتصبح أرملة في سن مبكرة. العادات والقيود الدينية لا تسمح بالزواج الثاني. وتعود إلى بيت "رائ صاحب". إنها تخاف من سماع ترملها الصغير وسخرية الناس منها، وقد أصبحت رمزًا للحظ السيئ ولهذا السبب سئمت من كل هذا وهربت مع شخص ما.[35]"تم قطع أنف "رائ صاحب". كم كان الناس فخورين. والآن ستلعب دور "هولي "جيدًا، وسترتدي الساري الهندي الملون. ماذا حدث عندما تم قطع أنف الأم والأب؟"[36]

ثم جاءت الأخبار بأنها عادت مع رجل (مع من تهرب من المنزل) واستأجرت منزلاً. والدة عالية تمنع عاليا وتهمينة من مقابلة كسم. "إذا قابلتها الآن، سيرفع الناس أصابعهم لقد اشتهرت بأنها وغد"[37]

لقد وصفت الكاتبة خديجة مستور موت كسم بالكمال."كان الوجه الأزرق المتورم خاليًا من المشاعر. كان الجميع ينظرون اليها و لكنها رفضت النظر إلى الجميع.حتى آخر قطرة ماء قطرت من الساري الأبيض المتدلي من سرير و تم امتصاصها في الفناء الترابي"[38].يخونها نفس الرجل (مع من تهرب من المنزل) ويتركها مرة أخرى في نفس المنزل للندم واللوم، ولعنات الناس تجبر كسم على الانتحار، وتعتبر الانتحار وسيلة للخلاص. وتتخلى عن حياتها غرقاً في البركة حزناً وفخراً.

الضحية الثالثة لهذا الشرف والتكريم هي تهمينه. تهمينه هي أخت عالية. إنها تحب ابن عمتها صفدر، ولكن من خلال سرد قصة والدته سلمي، تستمر في القول إنها ليست سيئة السمعة مثل جدتها، التي ستتحمل حب تهمينه من أي رجل من الطبقة الدنيا. تقول مرارًا وتكرارًا أنه إذا تحركت تهمينة فسوف تقتل نفسها أو تقتل تهمينة. لكن تهمينة تريد صفدر بصمت. القصة الرومانسية لحبها الصامت مهمة في هذه الرواية. ولكن عندما تعرب تهمينة عن رأيها لصالح صفدر،تقول والدة تهمينة جدتك كانت وقحة، التي جعلت من والد صفدر صهرًا وما زالت على قيد الحياة. سوف اكل السم في ذلك الوقت"[39].يتم ترتيب زواجها مع جميل رغما عنها وهي معجبة بصفدر، وقبل أيام قليلة من الزفاف تصل رسالة صفدر ويقول: "تهمينه لي وستكون لي"[40].في مثل هذه المناسبة، لا يؤدي انتحار كسم إلا إلى تعزيز شجاعة تهمينه، كما أنها ترى في ذلك وسيلة للخلاص. وتنتحر بتناول السم.

خلاصة البحث

تقدم هذه الشخصيات نظامًا يتم فيه التضحية بالمشاعر على حساب التقاليد وشرف العائلة. لذلك، في هذا النظام الأبوي، عندما يكون هناك صراع بين التقاليد حرية الفرد وحساسية المجتمع، يكون للناس، وخاصة النساء، تأثير أكبر على حياتهم. لقد حدث في كثير من الأحيان أن طبيعة حساسيتهم هذه جعلتهم جبناء أو قادتهم إلى الضلال، وكانت العملية الناتجة ليست مأساوية فحسب، بل أيضًا معادية للمجتمع. يعد هذا التثبيت لحرية الفرد أو شرف العائلة أو التقاليد عملية مستمرة في هذا النظام. قصة هدى وزينب ونهلة وسلمى ثم انتحار كسم وثمينة، كل هذه الأعمال المعادية للمجتمع هي نتيجة هذا الصراع. ثمينة وكسم لهما نفس المصير. كلاهما تفشلان في الحب وينتحران، معتبرين ذلك وسيلة للخلاص. كلاهما تمثلان البيئات الخاصة بكل منهما. ضحايا العادات والقيود، تتمرد هؤلاء الفتيات على البيئة، لكن لا يوجد اتجاه في مصيرهن.

ومن المفارقات أن الشخصيات النسائية في الميراث لسحر خليفة وخديجة مستور أنغان لا تتلقى الحماية ولا التوجيه من الذكور إلا التهديد والإذلال والعار. يتم التخلص من الشخصيات من قبل حماتها الذكور، ويتم الاعتداء عليها جنسيًا من قبل الذكور في المجتمع. حتى نساء المجتمع لا ينظرن إلى بناتهن كإنسانة بواقعية بدلاً من كونه رمزاً للشرف،فقط في ميراث خليفة، جدة زينب، ديبورا، كانت سيدة أمريكية تقف بثبات لإنقاذ حفيدتها من تهديد والد زينب. بعد سفرها إلى الضفة الغربية، تكتشف زينب نفاق النظرية على أساس الجنس التي يتبناها حماة شرف العائلة من الذكور. وما هو إلا وهم تقليد الشرف، الذي يحط من شأن المرأة في المجال الرمزي، ويُعفي الرجل من أي تهمة سلوكية غير أخلاقية: وفي هذا السياق، يصبح مفهوم الشرف ''قبراً'' للمرأة لأنه لا يناسب إلا الجسد الأنثوي. يدفن فيه.ومع ذلك، فإن سحر خليفة وخديجة تربطان تفسير الشرف بالتقاليد وليس بالأديان.

الهوامش

[1] Garcia-Moreno, C., Guedes, A., & Knerr, W. (2012). Femicide (Understanding and Addressing Violence Against Women, WHO/RHR/12.38). *World Health Organization*, 8. https://apps.who.int/iris/bitstream/handle/10665/77421/WHO_RHR_12.38_eng.pdf?sequence=1

[2] Muhammad, A. A. (2010). *Preliminary Examination of so-called Honour Killings in Canada* (Issue June). http://www.justice.gc.ca/eng/rp-pr/cj-jp/fv-vf/hk-ch/hk_eng.pdf

[3] Korteweg, A. C. (2012). Understanding Honour Killing and Honour-Related Violence in the Immigration Context: Implications for the Legal Profession and Beyond. *Canadian Criminal Law Review*, *16*(2), 135–160. http://search.proquest.com/docview/1018564902?accountid=14542%0Ahttp://dn3nh3eq7d.search.serialssolutions.com

[4] Ibid."

[5] Zuhur, S. (2009). Consideraions of Honor Crimes, FGM, Kidnapping/Rape and Early Marriage in Selected Arab Nations. *United Nations*, *May*. http://www.un.org/womenwatch/daw/egm/vaw_legislation_2009/Expert Paper EGMGPLHP _Sherifa Zuhur - II_.pdf

[6] Muhammad, A. A. (2010). Preliminary Examination of so-called Honour Killings in Canada (Issue June). http://www.justice.gc.ca/eng/rp-pr/cj-jp/fv-vf/hk-ch/hk_eng.pdf

[7] Araji, S. K. (2000). Crimes of honor and shame: Violence against women in non-western and western societies. *The Red Feather Journal of Postmodern Criminology: An International Journal*, *8*, 1-20

[8] Odeh, L. A. (2010). Honor killings and the construction of gender in arab societies. *American Journal of Comparative Law*, *58*(4), pg. 13 911–952. https://doi.org/10.5131/ajcl.2010.0007

[9] هي حركة أدبية تمثل الواقع من خلال تصوير التجارب اليومية الدنيوية كما هي في الحياة الحقيقية. إنه يصور أشخاصًا وأماكن وقصصًا مألوفة، وتدور أحداثها في حول الطبقات المتوسطة والدنيا في المجتمع.

[10] سحر خليفة، الميراث، دار الأدب، بيروت – لبنان ،١٩٩٧ ص ٦

[11] المصدر السابق ص ١٢

[12] المصدر السابق ص ١٣

[13] المصدر السابق ص ١٢

[14] المصدر السابق ص ١٢-١٥

[15] المصدر السابق ص ١٠

[16] المصدر السابق ص ٢٥

[17] المصدر السابق ص ١٥

[18] المصدر السابق ص ٥١

[19] المصدر السابق ص٩٢

[20] المصدر السابق ص٧١

[21] المصدر السابق ص ٩٢

[22] المصدر السابق ص ٧٨

[23] المصدر السابق ص ١٤٩

[24] المصدر السابق ص ١٢١

[25] المصدر السابق ص ١٢٢

[26] المصدر السابق ص ١٢٧

[27] المصدر السابق ص ١٣٣

[28] المصدر السابق ص ١٣٢

[29] المصدر السابق ص ١٣٨

[30] مستور خديجة، آنگن ،مطبوعہ سنگ میل پبلیکیشنز ١٩٩٥ ص ١٦

[31] المصدر السابق ص ١٦

[32] المصدر السابق ص ١٧

[33] المصدر السابق ص ١٨

[34] المصدر السابق ص ١٨

[35] وقعت مذبحة جليانوالا باغ، المعروفة أيضًا باسم مذبحة أمرتسر، في ١٣ أبريل ١٩١٩. وقد تجمع حشد كبير في جليانوالا باغ في أمرتسر، البنجاب، الهند البريطانية، للاحتجاج على قانون رولات. العميد الجنرال داير، فأمر بإطلاق النار على الحشد، وقتل ١٥٠٠ شخص أو أكثر .

[36] المصدر السابق ص ٤٦

[37] المصدر السابق ص ٥٢

[38] المصدر السابق ص ٥٤

[39] المصدر السابق ص ٤٩

[40] المصدر السابق ص ٦٧

فهرس المصادر

1. Araji, S. K. (2000). Crimes of honor and shame: Violence against women in non-western and western societies. The Red Feather Journal of Postmodern Criminology: An International Journal, 8, 1-20

2. Garcia-Moreno, C., Guedes, A., & Knerr, W. (2012). Femicide (Understanding and Addressing Violence Against Women, WHO/RHR/12.38). World Health Organization, 8. https://apps.who.int/iris/bitstream/handle/10665/77421/WHO_RHR_12.38_eng.pdf?sequence=1

3. Korteweg, A. C. (2012). Understanding Honour Killing and Honour-Related Violence in the Immigration Context: Implications for the Legal Profession and Beyond. Canadian Criminal Law Review, 16(2), 135–160. http://search.proquest.com/docview/1018564902?accountid=14542%0Ahttp://dn3nh3eq7d.search.serialssolutions.com

4. Muhammad, A. A. (2010). Preliminary Examination of so-called Honour Killings in Canada (Issue June). http://www.justice.gc.ca/eng/rp-pr/cj-jp/fv-vf/hk-ch/hk_eng.pdf

5. Odeh, L. A. (2010). Honor killings and the construction of gender in arab societies. American Journal of Comparative Law, 58(4), pg. 13 911–952. https://doi.org/10.5131/ajcl.2010.0007

6. Zuhur, S. (2009). Consideraions of Honor Crimes, FGM, Kidnapping/Rape and Early Marriage in Selected Arab Nations. United Nations, May. http://www.un.org/womenwatch/daw/egm/vaw_legislation_2009/Expert Paper EGMGPLHP _Sherifa Zuhur - II_.pdf

7. سحر خليفة، الميراث، دار الأدب، بيروت – لبنان، ١٩٩٧

8. مستور خديجة- آنگن -ناول-ايجوكيشن بک هاؤس على گرھ ١٩٨٣